

ايضاح واصلاح

نشرت « الزهراء » الزاهرة مقالا للاستاذ عبد العزيز الراجكوتي بحث فيه عن حياة الأمير الإفريقي المعز بن باديس وعن حضارة القيروان في منتصف القرن الخامس للهجرة ، كما نشرت ملاحظات لصديقنا التحرير عبد الله مخلص حقق فيها بعض نقط تلك المقالة بوجه يناسب تدقيقه العلمي

واني قبل كل شيء أشكر همة الاستاذ الهندي على احيائه ذكرى صحيفة فاخرة من صحائف تاريخ بلادى ، على بعد نادية من هذا النادي . واستسمح منه العفو في ابداء بعض الايضاح لما ورد في مقاله ، لاسيما وانه تفضل بالاعتماد على إحدى رسائلني في نقله ، واتخذها مستنداً من بين مصادره ، وهو كتيبنا « بساط المتيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق »

فابتديء بالملاحظة عن هذا الكتيب الذي كنت حررته منذ خمسة عشر عاماً لموضوع مخصوص وبقترح من الشبيبة القيروانية في عام ١٣٢٨ حينما عزمت على انشاء نادٍ أدبي لقبته باسم الشاعر القيرواني الكبير « ابن رشيق » فطلبت مني القيام بمسامرة في التعريف بهذا الاديب ، فكتبت عندئذ عجالة موجزة في الموضوع أضفت اليها ما تيسر من أخبار البيئتين التي عاش فيها ابن رشيق ، ولم يكن يخطر ببالي وقت التحرير أنها تحظى بالنشر بعد حين ، ثم رغب الي بعض الاصدقاء في اظهارها فدُرجت ذيلاً متتابعا بأحدى جرائدنا اليومية ومثلت بعد قليل للطبع على حين غيابة عن الحاضرة التونسية بحيث لم يتيسر لي تصحيح مسودتها ولذا أتى عليها في الطبع من التحريف والتصحيح ما الله به عليم ، وقد أشير الى ذلك كله في ملحق ادرج بآخرها . ولم يخطر بذهني ان تلك العجالة - وان جمعت بعض الفوائد التاريخية - ستصبح مرجعاً معتمداً لدى الباحثين للاسباب التي

خدمت . ومهما يكن من الامر فاني اوافق تمام الموافقة صديقتنا المخلص في ملحوظاته العملية الرائقة و اشاراته الثابتة المدرجة في العدد التالي من « الزهراء » الغراء
 بقي علي أن انبه الاستاذ الهندي الى بعض الخطأ الوارد في مقاله المنشور
 بمديدي « الزهراء » الاخيرين ، فاقول وبالله التوفيق :

ص ٨٦ - صحح الاستاذ الراجكوتي أسماء أجداد المعز بن باديس فضبطها هكذا : « بُكْلَيْنَ بن زِيْرِي بن مِيَاد الصْنَهَاجِي » معتمداً في ذلك على ما رواه ابن : السكّان ^(١) أو غيره ؛ فألاحظ أولاً أن هذه الاسماء هي في الحقيقة بربرية وقد أخطأ ابن خلكان على جلالة قدره وغزارة علمه في نقله عن ابن دريد - من كتاب الاشتقاق أو غيره - اذ من البديهي أن يُرجع في ضبط مثل هذه الاعلام الى رواة أخبار المغرب كابن العذاري والتجاني وابن خلدون وأضرابهم ممن يتقن لغات الشلحة (لغة البربر) . فقد أورد ولي الدين ابن خلدون الاسماء الاربعة المتقدمة هكذا : « بُلْكَيْنَ (بالكاف المعقودة المشددة) ابن زِيْرِي بن مَنَاد (ولا وجود لاسم مِيَاد) الصْنَهَاجِي . وكذا فعل ابن العذاري ^(٢) في تلك الاسماء سوى أنه ضبط اسم بُلْكَيْنَ بلجيم فرسمها (بُلْجَيْنَ) . اما في ضبط اسم صنهاجة فقد أزال الشيخ مرتضى الزبيدي الاشكال حيث قال ^(٣) : « (و صِنْهَاجَة بكسرهما غريق في المبودية ، و صنهاجة) قال ابن دريد بضم الصاد ولا يجوز غيره ، وأجاز جماعة الكسبر ، قال شيخنا : والمعروف عندنا الفتح خاصة في القبيلة بحيث لا يكادون يعرفون غيره » وبالتالي يؤيد رواية هؤلاء الاعلام ما هو جار لحد الآن

(١) وفيات الاميان طبع مصر سنة ١٣١٠ ج ١ ص ٨٧ و ١٩٧

(٢) ك « البيان المغرب في أخبار افريقية والمغرب » لابن العذاري المراكشي طبع ليدن

سنة ١٨٤٨ ج ١ ص ٣٠٧

(٣) تاج العروس ج ٢ ص ٦٧ (مادة من ل ج)

على السنة أم البربر التي لم تعهد غير الشلحة الزناتية لغة فهذه الاعلام من أسماهم الى ساعة التاريخ ولا نصيب لابن دريد أو لنيره في اشتقاقها

ص ٨٧ سطر ٩ - قال جناب الاستاذ ان المرز بن باديس « مَلَكٌ من برقة الى فاس » (٩) ونحن مع محبتنا وتمظيمنا لذلك الامير العالم الجليل لا يسعنا إلا التنبيه على أن المملكة الصنهاجية الزيرية كانت لا تخرج عن حدود افريقية العربية القديمة بدليل قول ابن خلدون الذي استشهد به نفس الاستاذ « وكان المرز واسطة عقد آل زيري بل ملوك افريقية وبيت قصيدهم ولا يخفى أن افريقية لا تمتد نحوها الا من طرابلس الغرب شرقاً الى نصف مقاطعة قسنطينة اليوم غرباً على التقريب وما أبعد قسنطينة عن فاس ! على أن هذا الملك مع قلة اتساعه لم يمنع المرز من أن يكون « أضخم مَلِك عرف للبربر بافريقية وأثره وابنه » كما شهد ابن خلدون وذلك لتوفر أسباب الثروة في البلاد حينئذ وغزارة عمراتها الزاخر

ص ٨٨ سطر ١ - تأتي بالاستاذ طرقه الشك فيما ذكر في البساط (ص ٥١) من أن بلاط المرز كان يجمع أكثر من مائة شاعر فببر على قولنا « بالزعم » ونحن نؤكد له صحة هذا الخبر ، وما جمعنا من شعراء الدور الصنهاجي الثاني في كتابنا (ديوان الادب التونسي) - الذي لم يبرز تماماً لعالم المطبوعات - يؤيد دعوانا وازيادة

ص ٨٨ سطر ٩ - ورد لفظ « الخبائز » فيما نقل عن ابن خلدون - وهو لا معنى له - والصواب أن يقرأ « الجنائز » كما اشار اليه الاستاذ في تعليقه وكما هو نص النسخة المطبوعة في الجزأ من تاريخ ابن خلدون^(١)

ويجب اصلاح ما جاء بعد العبارة المتقدمة وهو « مثل ما ذكر أن عطية

(١) تاريخ الدول الاسلامية بالنرب وهو القسم الاخير من كتاب العبر - طبع الجزائر سنة

صندل عامل باعانة مائة حمل من المال « والصواب : » مثل ما ذكر أن هدية صندل (اسم رجل) عامل باغاية (مدينة بالمغرب الاوسط) ^(١) مائة حمل من المال وما بعدها يصلح هكذا : وان بعض تواريخ الكبراء منهم كان من العود الهندي بماسير الذهب ، وان باديس أعطى فلفول بن سميد (لا مسمود) الزناتي ثلاثين حملا من المال وثمانين نخعا من الثياب »

ص ٨٩ سطر ٢ فيما يخص الهدايا والتحف الواصلة للمعز بن باديس من قبل الملوك والتي ألعنا اليها في البساط ونقلها عنا نشير على الاستاذ بهراجمة تفصيلها في تاريخ ابن العذارى ^(٢)

ص ٩١ سطر ٢١ - أما دعوى الاستاذ من أن : « أهل المغرب أولهم بالطمس والعوذ والرقي والشيخ الكاذبين الفاسدين » فهذه قضية غير مسلمة تحتاج الى أدلة قوية لم يتحفظ بها جناب الكاتب وامل ذلك لتعسر وجودها عليه ، ولذا وجب علينا أن نقول ان أهل المغرب - على ما هم عليه من بساطة الاخلاق - أشد الناس تمسكا بالسنة المحمدية السمحاء وأقلهم ميلا وانقيادا الى الاهواء المبتدعة والنحل المخترعة ولم يظهر في ديارهم منذ دخول الاسلام الى يومنا من الاديان المخالفة والمذاهب الخارجة ما تسبب في النزاع والتشاجر بين العناصر القاطنة بين المحيط الاكبر الى برقة . يكفينا دليلا شدة مقاومتهم للآراء الشيعية والنزعات القرمطية التي حاول الامراء العبيديون ادخالها في بلاد المغرب بقوة سيوفهم وبلاغة دعائهم فكان نصيبهم بعد العناء والشقاء لخطية التي لا نجاح معها حتى اضطروا - لاضهار مبادئهم ونشر دعوتهم - الى الانتقال الى الديار المشرقية فتمكنوا حينئذ من ارساخ مبتدعات الاسماعيلية والحاكمية وغيرها كثير

(١) لم تزل باغاية موجودة لحد الآن - راجع التعريف بها في الملوك والممالك لابن عبيد البكري طبع بباريس سنة ١٩١١ من ٥٠

(٢) البيان المغرب ج ١ ص ٢٨١ و ٢٨٣ و خصوصا ٢٨٦

ولا فائدة في اطالة الكلام هنا ولنطو هذه الصحيفة بالتأمين على الدعاء الذي دعا به الاستاذ : « هدانا الله وليا كم الى سواء الصراط ١ »

ص ٩٢ سطر ١٨ - نشارك صديقنا العلامة المخلص في اصلاحه لفظ الطراز لاسيما وقد ورد بحرفه في تاريخ ابن خلدون ^(١) قال : ومحا اسمه من الطرز والسكة ص ٩٣ سطر ٧ - هنا يجب رفع اللثام عن نقطة تاريخية خاض فيها كل من الاستاذ والعلامة المخلص الا وهي السنة التي قطع فيها المعز علاقته مع الخلافة الفاطمية وأبطل ذكر أمماتهم من أعلى المنابر الافريقية وما تسبب عن ذلك الحادث من توحيد المذاهب السنية بالبلاد المغربية . وما علينا الا أن نعتد في ذلك على ما نقله ابن العذاري المراكشي فانه قال ^(٢) ناقلا عن ابن شرف (ورب الدار أدري بما فيه) : « وفي سنة ٤٣٦ مات الجرجاني بمصر ...

« وفي سنة ٤٤٠ قطعت الخطبة لصاحب مصر واحرقت بنوده . قال ابن شرف : وأمر المعز بن باديس بأن يدعى على منابر افريقية للمباس بن عبد المطلب ويقطع دعوة الشيعة المبيدين فدعا الخطيب للخلفاء الاربعة والمباس ولبقية العشرة رضى الله عنهم » قال ابن شرف : وأمر المعز بلعنهم في الخطب وخلعهم ؛ ولما كان عيد الاضحى أمر الخطيب أن يسب بنى عبيد ، فقال : « اللهم والعن الفسقة الكفار المارقين الفجار ، أعداء الدين وأنصار الشيطان المحالفين لامرك والناقضين لمهدك ، المتبعين غير سبيلك ، والمبدلين لكتابك ؛ اللهم والعنهم لعناً وبيلاً ، واخرهم خزيًا وعريضاً طويلاً ، اللهم وان سيدنا ومولانا أبا نعيم المعز بن باديس بن المنصور القائم لدينك ، والناصر لسنة نبيك ، والرافع للواء أوليائك يقول مصداقاً لكتابك ، وتاباً لأمرك ، مدافعاً لمن غير الدين ، وسلاً غير سبيل الراشدين المؤمنين : (يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) هكذا ذكر

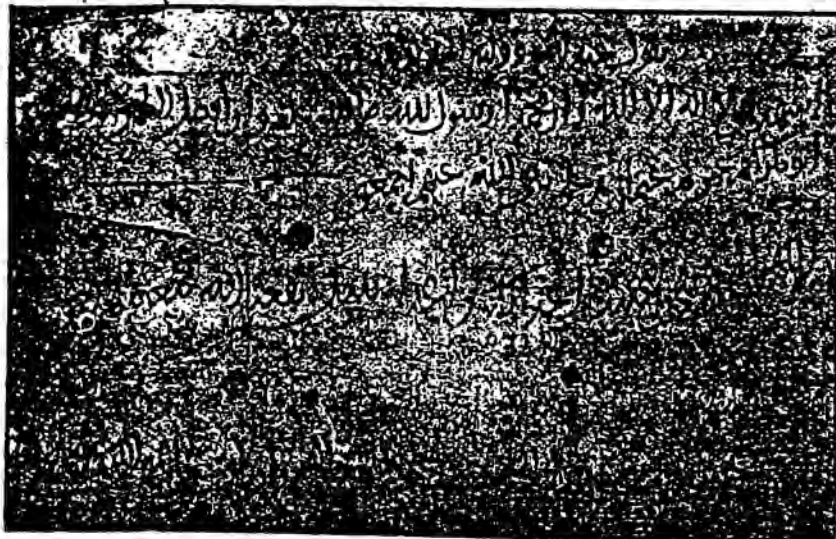
(١) طبع الجزائر ١ : ٢٠٠ (٢) البيان المغرب ص ٢٨٨ وما بعدها

ياسقاط « قل » وآخرها

قال : « وأمر الامير أبو نعيم المزم الخطيب أن يسبهم على منبر القيروان
بشنع من هذا السب فلما كان الجمعة أخرى أبلغ في ذلك بما فيه شفاء لنفوس
المؤمنين ! » أقول : وقد وصل اليانا من حملة المزم بن باديس على بني عبيد ومنهيبهم
أثر من الامة التاريخية بكان مكين : الا وهو نص لمن المزم للملك الشيعة
مرسوم بخط يده على الورقة الاولى من مصحف جليل حبسه المزم بن باديس على
جامع القيروان ، ونص عبارته :

« يقول عبد الله ووليه المزم لدينه :

أشهد أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله صلى الله عليه وأن أفضل الناس
بعد رسول الله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين
« اللهم العن بني عبيد أعدائك وأعداء نبيك . نفعتنا الله بينفسهم
أجمعين » !



صورة الرق المحفوظة بمكتبة جامع عتبة بالقيروان

يرى القاري من النصوص المختلفة المتقدمة أن ما أشار إليه الاستاذ الهندي من أن المعز بن باديس « لم يصرح باسم عبيد الله أو خلفائه » حين لعنهم (ص ٩٣ من الزهراء) لا يصح تاريخياً بل كان الامر خلاف ذلك على خط مستقيم وعلاوة على ذلك فتد خلد لنا التاريخ شاهداً ثابتاً آخر لا تقل أهميته عما تقدم اذ كان شاهد عيان ممن حضر تلك الوقائع وعان تلك القماقم ألا وهو الدينار الذي ضربه المعز بن باديس حينما خلع أو اصره من الدولة الفاطمية بمصر . روى ابن المنداري (١) :

« ذكر تبديل السكة عن بني عبيد — قال ابن شرف : وفي هذه السنة [أى ٤٤١] أمر المعز بن باديس بتبديل السكة في شهر شعبان فنقش على الازواج [وهي دوائر وسط الدينار] في الوجه الواحد : « ومن يَبْتَغِ غَيْرَ الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » — وفي الوجه الثاني « لا اله الا الله محمد رسول الله » وضرب منها دنانير كثيرة ، وأمر أيضاً بسبك ما كان عنده من الدنانير التي عليها أسماء بني عبيد فسبكت وكانت أموالاً عظيمة ثم بث في الناس قطع سكتهم [أي سكة العبيديين] وزوال أسمائهم من جميع الدنانير والدراهم بسائر عمله .

« وقد كان قطع أسماءهم من الرايات والبنود ، وكان مبتدأ ضرب السكك بأسماء بني عبيد الله ورسمها في الرايات والطرز سنة ٢٩٦ الى أن قطعها المعز المذكور سنة ٤١ المذكورة ، وذلك سنة ٤٤٥ »

أقول من منن الله على أن عثرت على دينارين من الدنانير المعزية الصنهاجية المشار إليها هنا (رقم ٢٨٣ ورقم ٢٨٤ من مجموعتي الخصوصية) وهما علي وصف .

ابن شرف فيما تقدم عدا أن الدائرة الأولى بالوجه الواحد فيها (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) - وفي الدائرة الأولى من الوجه الثاني « بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة عز الإسلام والمنصورية سنة خمس وأربعين وأربعمائة » والمقصود بمدينة عز الإسلام، هي القيروان حين استقل بها المعز واتصل بناؤها بصيرة المسماة أيضاً بالمنصورية ولم يبق فاصل بين المدينتين سوى السور الذي أحدثه المعز سنة ٤٤٤ كما أشار إليه البكري في مسالكه ^(١) وهذه الدنانير من أجل ما رأيت صفاء ونقشاً وسماحة

ص ٩٣ سطر ١٤ - ما ذكره الاستاذ من تفاخر المعز بن باديس على المستنصر الفاطمي بمكاتبته عبارة « انكم لم تنالوا ما نلت من الملك الأ بمعونة آبائي » وشرحها الاستاذ بقوله : وان كانت جلته هذه لم تجانب الصواب لان عبيد الله كان آتى من المشرق وكان أنصاره قبائل صنهاجة من البربر وهم اخوان المعز وعشيرته « لاحظ : ان المعز انما أشار فيها كتبه الى تخليص الدولة العبيدية مدة ثاني وثالث ملوكهم وهما القائم والمنصور من الثورة الشمواء التي أثارها أبو يزيد مخلد بن كيداد الخارجي تلك الثورة التي كادت تقضى على سلطان الفاطميين بافريقية لولا نصرة قبيلة صنهاجة - عشيرة المعز - ونجبتها لمدينة المهدي في حين لم يبق بيد الفواطم سوى أسوار هذه العاصمة . والآ فان صنهاجة لم تكن تشارك البتة في تأييد دعوة العبيديين عند ظهور عبيد الله المهدي بالمغرب . أما أنصارهم الاولون فكاتبوا كتامة القاطنين ببجبال أوراس . وتفصيل ذلك كله مبسوط في المطولات من أمهات التاريخ فلتراجع هنالك

ص ٩٥ سطر ٦ - ذكر الاستاذ - ناقلاً عن ابن الاثير وميكالي آماري - أسماء بعض القواد المسلمين النافرين بصقلية ومن بينهم ابن الجواس ، ثم بعد رسمه هكذا وضع هذا الاسم بين قوسين قائلاً (او الجواس) كأنه تطرقه الشك

في صورة رسمه مع ان المؤرخين الذين اعتمد عليها وسائر من ذكر حوادث صقلية الاسلامية قيدوا هذا الاسم بذلك الرسم فلم يفهم معنى لهذا الشك ص ٢٠٢ سطر ١٢ - تعرض الاستاذ الراجكوتي في القسم الثاني من مقاله الى هجوم قبائل بني هلال وبني سليم وزغبة على افريقية وملاقاتهم بجيش المزم قريبا من « حيدران » حسبما نقله ابن خلدون وغيره وطرقه الشك في هذا الاسم العلم فالحقته بقول : « أو جندران » وهو تصحيف فادح في نسخة الكامل لابن الاثير المطبوعة ولو تتبعه في غير هذا المصدر - حتى في خلاصتنا لتاريخ نواس - لوجده في كل مكان (حيدران) بلا اختلاف ولا شك الا ما ذكرنا من التصحيف الحاصل غلطا في الكامل . وحيدران اسم فخص متسع به أو دية خصبة على الجادة الموصلة من قابس الى القيروان ويعرف اليوم باسم (وِدران) مشهور بمراعي الاغنام

ثم تعرض الاستاذ الى انتصار القبائل الاعرابية المهاجرة على جيش المزم وعلل سبب انهزام المزم وجيوشه بقوله : « الا ان فشل صنهاجة وتواكلهم جلب له عارا باقيا » وقال بعد ذلك بثلاثة اسطر : « ... وثبت غلمانه وقبائل زناتة الا ان صنهاجة غدروا بهم على عادتهم (؟) فانهزم بمن معه » وهذا التعليل مخالف تمام المخالفة للحقيقة التاريخية ولنفس ما قدم الاستاذ من ان قبيلة صنهاجة كان منها اباة المزم وعشيرته وعترته التي يفخر بها على العبيدين

ولو تفضل جنابه بتتبع ما قاله ابن خلدون وغيره من رواة الاخبار - وحتى بساطنا البسيط - لما تحقق ان السبب في تهقر المزم أمام الهلاليين وعصابهم هو انخدال قبيلة زناتة في موطن الوغى وانضمامهم الى صفوف الاعراب لما كانت تكنه صدورهم من قديم العداوة لقبيلة صنهاجة ، تلك العداوة التي حاربها المزم نفسه مرارا والتي منشاها بغض البدوي للحضري اذ ان زناتة رحالة وصنهاجة

حضر متمصرون من قديم الزمان

ص ٢٠٤ سطر ٦ - ذكر الاستاذ أن موت الامير يحيى بن علي بن تميم بن المزمز بن باديس كان سنة ٥٦٣ والصواب ان هذا الامير الصنهاجي توفي بالمهدية يوم عيد الاضحى من سنة ٥٠٩ والذي مات في عام ٥٦٣ هو آخر الامراء الصنهاجيين من بني زيري الحسن بن علي المتقدم - فليحذر

ص ٢٠٩ سطر ١٥ - ذكر في جملة التواريخ المؤلفة في القيروان (٦) طبقات علماء افريقية لأبي العرب محمد بن احمد التميمي وأشار في تعليقه أنه أخذ اسم هذا الكتاب من الديباج لابن فرحون ، ولم ينتبه الى ان هذا التصنيف طبع بالجزائر سنة ١٣٢٢ مع طبقات علماء افريقية « للخشي بعناية صديقنا العلامة الشيخ محمد بن أبي الشنب ، فليراجع الاستاذ ان شاء

ص ٢١٠ سطر ١٢ - ان من جملة شعراء القيروان الذين اوردتهم في سطر واحد « أبا لقمان الصغار والدركادو الكوني » والصواب انهم ثلاثة شعراء مختلفون: (١) أبو لقمان الصغار (٢) والدركادو [وهو عبد الملك ابن محمد المعروف بالدركادو القيرواني] (٣) والكموني [وهو محمد بن ابراهيم شهر الكموني التميمي] .

ص ٢١١ سطر ١ سمي أيضاً من بين شعراء القيروان : عبد العزيز بن خلوف الجروي ، والتحقيق هو الحروري النحوي .

وقد أفردت لكل من هؤلاء الادباء ترجمة مطولة واوردت من أشعارهم بقدر ما أمكنني العثور عليه في تأليف ضخم وسمته (بديوان الادب التونسي) وقد سمحت الظروف بنشر البعض من تراجمهم في مجلاتنا ونشرياتنا الادبية التونسية كمجلة (البدر) و (العرب) وغيرها .

هذه ملاحظاتنا التي نبدىها الى الاستاذ الراجوتي راجين من جنابه ان لا

برى فيها الا مجرد تعلقنا بالبحث والوقوف على الحقيقة من غير ان يكون في ذلك ادنى شائبة للغرض النفساني.

وعلى كل حال فاني اكرر له شكري على عنايته بخدمة التاريخ الاسلامي الافريقي ، ذلك التاريخ الذي تنوسى عهده وانطمس رسمه .

ألهمنا الله واياه اعلاء الحق والتواصل عليه ، ودلنا سبحانه على ما فيه الخير والفلاح ، بته تعالى وفضله

حسن عبد الوهاب

تونس : في جادى الاول ١٣٤٣

قبة الخزائن في الجامع الاموي

يوجد في صحن مسجد بني أمية بدمشق على مقربة من زاويته التي بين الشمال والغرب قبة تسمى (قبة الخزائن) وكان يظن أنه لا يزال فيها كثير من المخطوطات باقية من زمن بني أمية . فسمى الامان لدى السلطان عبد الحميد في فتحها . وكان شيخنا الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله ممن دعت الحكومة يومئذ لأن يحضر فتحها . فكتب في تذكرته يقول :

في يوم السبت ٢١ ذي الحجة سنة ١٣١٧ فتحت (قبة الخزائن) في الجامع الاموي بارادة سنية في حضور ناظم باشا والى الولاية ، مع جمع جم من الأعيان ، وكان الذي رأيناه أجزاء من مصاحف شق كلها كوفية الخط . وكان أول آية خرجت معنا « فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » . وخرجت ورقة تتضمن الشهادة بالحج والعمرة لصاحبها . وخرج جزء مكتوب عليه « انه حبس على مشهد زين العابدين صلوات الله عليه وعلى أبنائه الأئمة سنة ثيف وسبعين وأربعائة »